أصغر من الهجاء

ولما أنشد هذه القصيدة وانصرف اضطرب المجلس وكان نبطي من كبراء كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال له: دعني أسعَ في ذمه، فرخص له في ذلك وفيه يقول أبو الطيب:

[الوافر]

أَسَـــامِـــرِيُّ ضُـــحْـــكَـــةَ كُـــلِّ رَاءِ
فَـطِـنْـتَ وَأَنْـتَ أَغْـبَـى الأَغْـبِـيَـاءِ(١)
صَـغُـرْتَ عَـنِ الْـمَـدِيـحِ فَـقُـلْـتَ أُهْـجَـى
كَـأَنَّـكَ مَـا صَـغُـرْتَ عَـنِ الْـهِـجَـاءِ(٢)
وَمَـا فَـكَّـرْتُ قَـبْـلَـكَ فِـي مُـحَـالٍ
وَلَا جَـرَّبْـتُ سَـيْـفِـي فِـي هَـبَـاءِ(٣)

لا تعذل المشتاق في أشواقه

وأمره بإجازة أبيات فقال:

[الكامل]

أَلْـقَـلْـبُ أَعْـلَـمُ يَـا عَـذُولُ بِـدَائِـهِ
وَأَحَـقُّ مِـنْـكَ بِـجَـفْـنِـهِ وَبِـمَـائِـهِ(٤)

---

(١) فطنت: تنبّهت. يهجو الشاعر السامريَّ، إنه هزاءة ضحكة البشر، يسخرون منه لغبائه، فهو لا يقدّر الشعر حقّ قدره ولا يحترم قائله، وفطنته لم تهده إلى سرّ عظمة الشعر ولم يستطع تذوّقه، فاستحق السخرية لجهله.

(٢) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٢١٣. يوجّه الشاعر سهام نقده اللاذعة للسامريّ، فقد تضاءل حتى تقلّص ولم يعد يبدو شيئاً بل أصبح هباءة، لذا فهو لا يستحقّ المدح، حتى بدا يستحقّ الهجاء لذلك.

(٣) الهباءة: الشيء المنبثّ الذي تراه في البيت من ضوء الشمس. وما يدهش الشاعر أنه لم يطرأ على باله أنه بشيء عدمي يرى ويحسّ في حال وجود ذلك اللاموجود في نظره أصلاً، ولم تشأ الظروف أن يجرّد لسانه لمحاربة شيء لا يراه ولا وجود له أصلاً.

(٤) العذول: اللائم. لطالما تأكّد المتنبي من حاسديه ولائميه. بدأ الشاعر قصيدته بمطلع وجداني، يتحدّث عن القلب ذلك العضو منبع الفكر والمشاعر، وهو المهيمن على كلّ حركات البشر، وهو المتحكّم بتوازن الجسد، وداء القلب نفسي يألم لألم صاحبه ويبكي لبكائه، وهو العالم بخفايا الأمور.